

سلسلة نساء النبي ﷺ للأطفال

المهاجرة

أم حبيبة

رضي الله عنها

رَمْلَةٌ بنت أبي سفيان



محمد القاضي

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة نساء النبي ﷺ
(١٠)

المُهَاجِرَةُ
أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ
بِنْتُ أَبِي سَفِيَّانٍ

رضى الله عنها

تأليف
محمد محمود القاضى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦٢٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977-265-655-8

دار التوزيع والنشر الإسلامية



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com
email: info@eldaawa.com

الهجرة إلى الحبشة

اشتد إيذاء قريش للمسلمين في مكة، وأصبح كثير من المسلمين يعيشون في شدة دائمة، فأشفق النبي ﷺ على أصحابه فأذن لهم في الهجرة إلى بلاد الحبشة بعد أن علم أن بها ملكاً عادلاً لا يُظلم عنده أحد من الناس، فسارع كثير من الصحابة إلى الهجرة إلى الحبشة، وكان ممن هاجر عبيد الله بن جحش وزوجته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وعبيد الله هذا ابن عمه النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب.

وعلى أرض الحبشة عاشت رملة مع زوجها وابنتها حبيبة بنت عبيد الله، التي كان كل من حولها من المسلمين يكتونها بها، ويقولون: «أم حبيبة» حتى صارت تعرف بهذا الاسم أكثر من اسم «رملة»، ولكن لم يطل الفرح بأم حبيبة فقد حدث أمر غريب وعجيب نغص عليها حياتها، فقد فاجأها عبيد الله يوماً بخبر مؤلم هو أنه اعتنق المسيحية، فصرخت في وجهه وناقشته كثيراً، ولكنه لم يستجب لها، وناقشه كذلك كثير من المسلمين الموجودين بالحبشة ولكنه أصر على رأيه، ففارقت أم حبيبة إذ لم يكن لمسلمة أن تعيش زوجة

لغير المسلم، ومات عبيد الله عقب ذلك.. فازدادت أحزان أم حبيبة،
فقد كان الأمل يراودها في أن يعود زوجها إلى الإسلام مرة ثانية..
ولكن هذا قدر الله، ولا راداً لأمره ولا معقب لحكمه.
ولعل ما يصور ما كانت تعانيه أم حبيبة من حزن وأسى بسبب ترك
زوجها للإسلام، أنها قبيل هذا الأمر رأت رؤيا أفزعته، تقول أم
حبيبة: رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة وأشوهها
ففرغت وقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم
حبيبة، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت
قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد، فقد رجعت إليها، فأخبرته
بالرؤيا فلم يحفل بها، وأكبَّ على الخمر حتى مات.



لقد كان موت عبید الله وهو على الكفر بعد أن ذاق حلاوة الإيمان
نهاية أليمة حقاً، فالله سبحانه يقول:

﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧]

وتذكرت أم حبيبة يوم أن دخل زوجها دين الإسلام، وكان عبید الله
قبل ظهور الإسلام يضيق بالوثنية ويسخر منها، وقرأ في التوراة
والإنجيل، فلما ظهر الإسلام دخل عبید الله دين الإسلام، ويومها
أسرع إليها يذكر لها أنه عرف مبعث محمد من التوراة والإنجيل،
ودعاها إلى دخول الإسلام فاستجابت له، وهاجرت معه إلى الحبشة
في صحبة المهاجرين من المسلمين تاركين ديارهم وأموالهم وكل
شئ خوفاً على دينهم ونجاة بأنفسهم من أذى قريش، فلما استقر
بهم الأمر عند النجاشي ملك الحبشة واطمأنوا على أنفسهم وأتیحت
لهم الفرصة كاملة لممارسة شعائر دينهم يترك زوجها دينه الذي
هاجر لأجله ويعتق ديناً آخر وهو النصرانية.. فما أعجب هذا
الأمر!! لقد آمن النجاشي ملك الحبشة بالله وبرسوله محمد ﷺ

لما تبين له صدق هذا الدين، وترك النصرانية التي كان يعتقها،
وعبيد الله الذي عايش الإسلام وآمن به وظل ينتظر إشراقه فترة
طويلة يترك الإسلام ويعتق النصرانية!

أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

كانت أم حبيبة من خيار نساء قريش، فهي ابنة أبي سفيان
بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فهي تلتقى في
نسبها مع رسول الله ﷺ في جدهما عبد مناف، وأمها صفية بنت
أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عمّة عثمان بن عفان -رضى
الله عنه-، وأخت أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان -رضى الله
عنه-. وكانت أم حبيبة قد ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً.

زواج أم حبيبة من رسول الله ﷺ

كانت أخبار ارتداد عبيد الله بن جحش عن الإسلام ثم موته قد
وصلت إلى المدينة، فقد كانت هناك مراسلات كثيرة تتم بين
النجاشي ومعه المسلمون في الحبشة ورسول الله ﷺ في المدينة،
وشعر النبي ﷺ بمدى الحزن الى كانت تعانيه أم حبيبة -رضى الله
عنها- فأراد النبي أن يعوضها خيراً عما حدث لها، فقرر أن يتزوجها،

ولعل الحكمة من وراء زواج الرسول ﷺ من أم حبيبة -رضى الله عنها- كانت بالغة، فأبو سفيان بن حرب والد أم حبيبة من أشد أعداء الإسلام، ولكن ابنته أم حبيبة دخلت الإسلام مع زوجها عبيد الله بن جحش، وقد تعرضت هي وزوجها إلى عنت قريش واضطهاد ذويها، فاضطرت للهجرة إلى الحبشة مع زوجها، ولكن زوجها تنصر وهو في الحبشة وبقيت هي على الإسلام، وهكذا فقدت أهلها وفقدت زوجها وهي مغتربة وعزَّ عليها الملجأ، وما هو ذا قلب الرسول ﷺ يفتح لها، ويداوى جراحها، ويكافئها أسمى مكافأة على موقفها الرائع، ويكون بيت الرسول ﷺ مفتوحاً لها لاستقبالها بعد أن فقدت بيت الوالد وبيت الزوج.

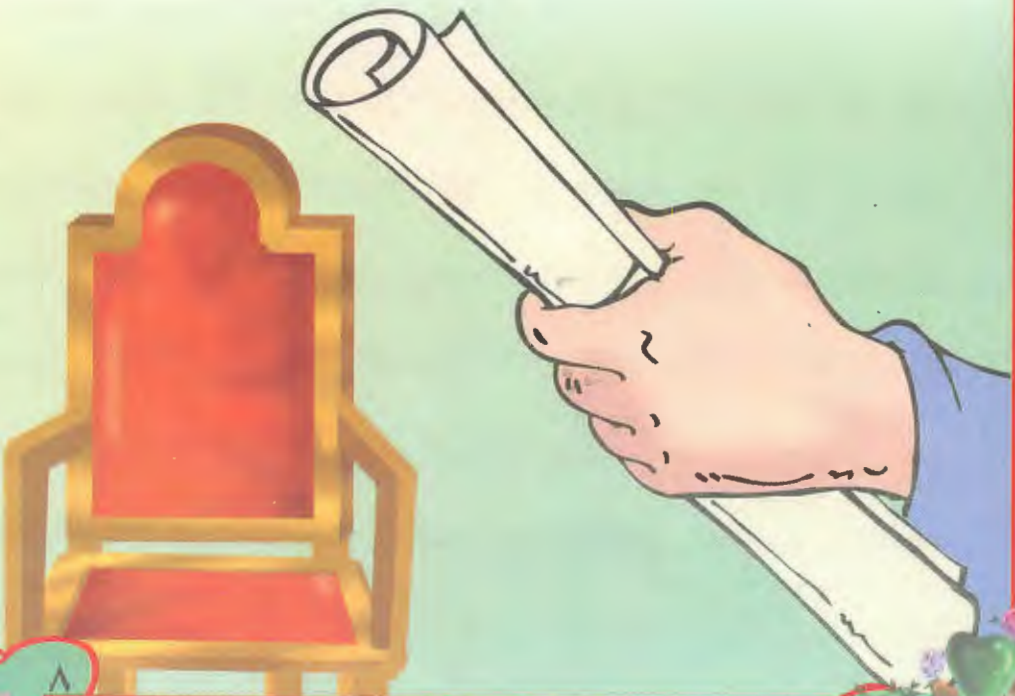
وبعث الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ليخطب له أم حبيبة، تقول أم حبيبة -بعد وفاة زوجها: رأيت في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أم المؤمنين، ففزعت، فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا ورسول النجاشي علي بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علي، فقالت: إن الملك

يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه. فقلت: بشرك الله بخير. قالت: يقول الملك: وكلى من يزوجه. فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته.

وعبرت أم حبيبة عن فرحتها بخبر زواجها من رسول الله ﷺ بأن أعطت أبرهة سوارين من فضة، وخواتيم كانت في أصابع رجليها، وخدمتين كانتا في رجليها.

وعقد النجاشي اجتماعاً في قصره، وحضر جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فخطب النجاشي فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام، أشهد أن لا إله إلا الله وأن

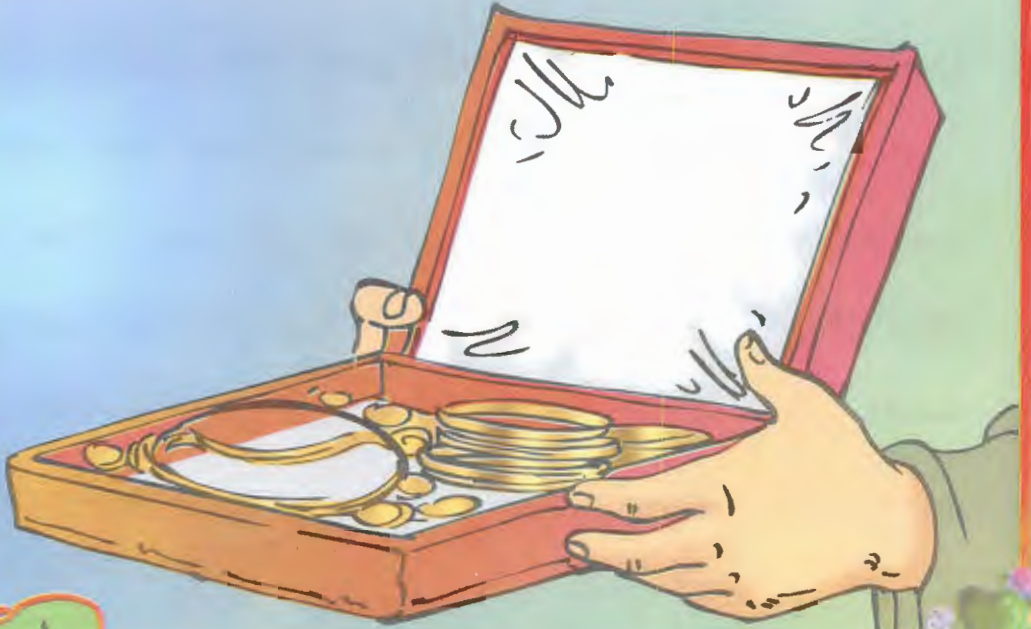


محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، أما بعد،
فإن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان
فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربعمائة
دينار.. ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها.
ثم خطب خالد بن سعيد بن العاص، فقال: الحمد لله أحمده
وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون، أما بعد، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ،
وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله رسول الله ﷺ.
ثم أرادوا أن يقوموا فقال النجاشي: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا
تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، وكان قد صنع وليمة كبيرة
احتفالاً بهذا الحدث السعيد، فجلس الجميع وأكلوا.

وأرادت أم حبيبة أن تزيد في مكافأة أברהة خادمة النجاشي
فعرضت عليها خمسين ديناراً من مهرها الذي أخذته، ولكن أברהة
رفضت قبول المال، بل ردت لها كل ما أعطته لها من قبل وقالت
لها: إن الملك أمرني بذلك، وقد أسلمت لله، وحاجتي إليك أن تقرئي

رسول الله ﷺ منى السلام، ثم قدمت أبرهة لأم حبيبة هدايا ثمينة
من عند نساء الملك.

وكانت أبرهة كلما دخلت علي أم حبيبة وهي تجهز نفسها للسفر،
تقول لها: لا تتسي حاجتي إليك. قالت أم حبيبة: فلما قدمت علي
رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بي أبرهة،
فتبسم رسول الله ﷺ وأقرأته منها السلام، فقال ﷺ: وعليها السلام
ورحمة الله وبركاته.



أم حبيبة في بيت النبي ﷺ:

وبعد أن انتهى الرسول ﷺ من فتح خيبر في السنة السابعة من الهجرة، جاءه الخبر بوصول العروس أم حبيبة في صحبة شرحبيل بن حسنة قادمة من الحبشة، ومعهم من كان هناك من المسلمين المهاجرين وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، وكان النجاشي قد جهزها وأرسل معها بهدايا ثمينة لرسول الله ﷺ، وفرح النبي ﷺ بمقدم المسلمين من الحبشة ومعهم أم حبيبة وقال: لا أدري بأيهما أسر؛ بفتح خيبر أم بقدم جعفر.

ولما بلغ أبا سفيان خبر زواج النبي ﷺ من ابنته أم حبيبة بارك هذا الزواج وأعلن رضاه به قائلاً: ذاك الفحل لا يقرع أنفه.

وبنى النبي ﷺ حجرة لأم حبيبة إلى جوار حجرات زوجاته، وانضمت أم حبيبة إلى ركب أمهات المؤمنين، وكان عمرها لما قدمت المدينة ودخل بها الرسول ﷺ بضعا وثلاثين سنة، وتعد أم حبيبة من بنات عم الرسول ﷺ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي بعيدة الدار أبعد منها.

وكانت - رضى الله عنها - من العابدات الورعات، ولعلنا نلحظ ذلك

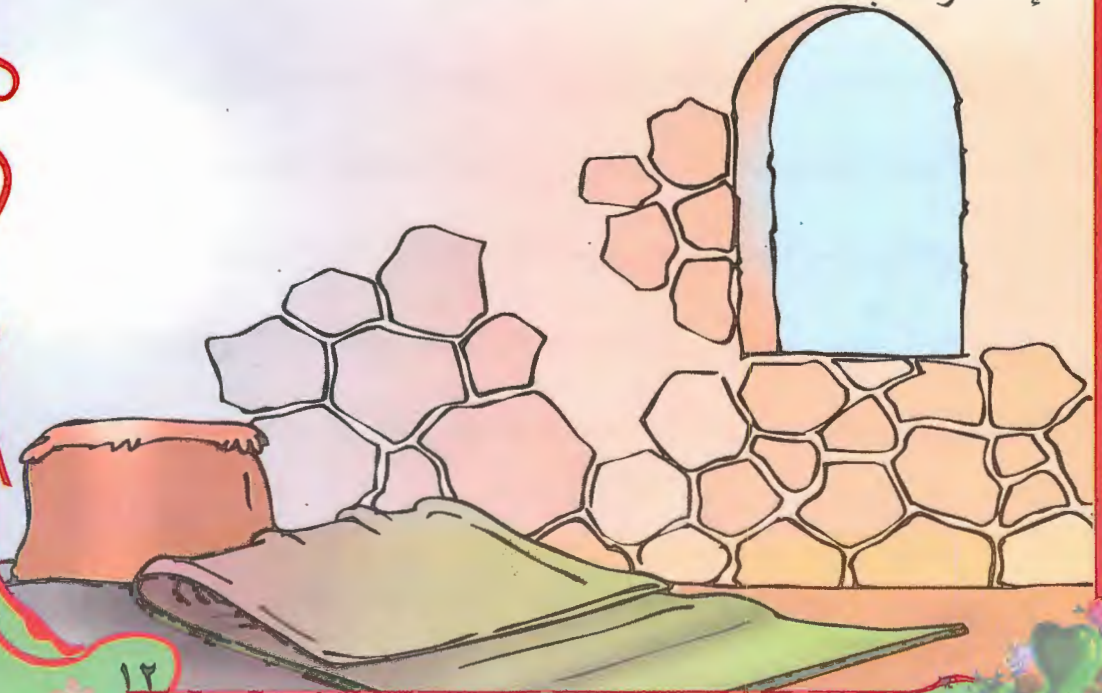
من خلال بعض الأحاديث التي روتها عن رسول الله ﷺ، فقد قالت:

قال رسول الله ﷺ: «من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة» قالت أم حبيبة: فلم أزل أفعله.

وروت أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقالت: قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل الظهر أربعاً، وبعد الظهر أربعاً، حرمه الله على النار».

وقالت: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق سبعين. فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث.



وكانت -رضى الله عنها- لا تخشى فى الله لومة لائم، فاق حبها لله ورسوله كل شىء، فعندما قدم أبوها أبو سفيان بن حرب المدينة ليؤكد صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ بعد أن أحدثت قريش أموراً تخل بينود العهد، وقرر النبي ﷺ غزو مكة، فلم يقبل النبي ﷺ منه، فقام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه؟! قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر.

لقد كانت تفهم حقيقة قول الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَوَاللَّهِ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ التوبة: ٢٤ ﴾

ولذلك كانت -رضى الله عنها- من أكثر الناس فرحاً بإسلام أبى سفيان ودخوله فى رحاب الإيمان فى أثناء فتح مكة، وكانت ممتنة لرسول الله ﷺ فى عفوه وصفحه عن أبى سفيان، وإكرامه لمكانته

فى قرىش، عندما قال ﷺ: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن.. وزاد النبى ﷺ فى إكرامه عندما جاءه أبو سفيان وقال له: يا رسول الله، ثلاث أعطينهن! قال النبى ﷺ: «نعم» فسأله أبو سفيان: تزويج ابنته، وأن يجعل معاوية كاتبه، وأن يأمره فيقاتل الكفار كما قاتل المسلمين.

وزواج النبى ﷺ من أم حبيبة قد كان تقرر قبل ذلك وأبو سفيان ما زال مشركاً، وكان الولي غيره، وإنما قال النبى ﷺ له: نعم، تطيباً لقلبه، أو أن مرادك قد حصل وإن لم يكن حقيقة عقد، وقال بعض الشارحون: إنما كان أبو سفيان يلتمس تجديد العقد، وجعل النبى ﷺ معاوية كاتباً له، وذهبت عينا أبى سفيان فى الجهاد، إحداهما يوم الطائف والثانية يوم اليرموك وكان يومئذ تحت راية ولده يزيد.

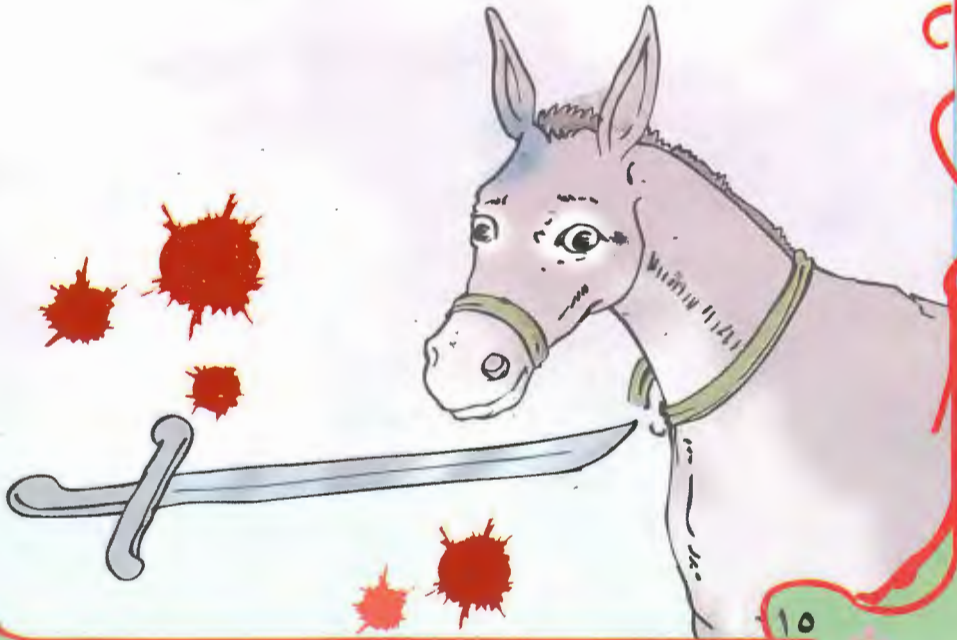
أم حبيبة بعد وفاة الرسول ﷺ:

واصلت أم حبيبة طريقها فى العبادة والطاعة بعد وفاة النبى ﷺ، محتفظة بمكانتها السامية فى قلوب المسلمين جميعاً.

وكانت - رضى الله عنها- من أوائل من سارع إلى نجدة خليفة المسلمين عثمان بن عفان -رضى الله عنه- عندما حاصره الثائرون

فى بىته، ومنعوا عنه الطعام والشراب، فجاءت أم حبىبة على بغة لها برحالة مشتملة على إداة (إناء صغىر يوضع فىه الماء)، فقيل: أم المؤمنىن أم حبىبة. فضربوا وجه بغتتها، فقالت: إن وصايا بنى أمىة إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كىلا تهلك أموال أىتام وأرامل. قالوا: كاذبة، وقطعوا حبل البغة بالسىف، فنفرت البغة بأم حبىبة، فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها، فتعلقوا بها وأخذوها، وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بىتها.

وقد كان لأم حبىبة حرمة وجلالة، ولا سىما فى دولة أخیها، ولمكانه منها قىل له: خال المؤمنىن، وقد قدمت دمشق زائرة أأها معاوية عندما كان أمىراً للمؤمنىن.



وفاتها:

وحانت لحظة فراق أم حبيبة للدنيا قادمة إلى ربها لتلقى محمداً
عند ربه، وكانت حريصة على أن تلتقى ربها دون أن يكون في
نفسها من أحد شيئاً، أو أن يكون لأحد في نفسه شيء منها، فدعت
أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وقالت لها: قد كان يكون
بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقالت
عائشة: غفر الله لك ذلك كله، وحللك من ذلك. فقالت أم حبيبة:
سررتي سرّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.
وكانت وفاتها في السنة الرابعة والأربعين من الهجرة النبوية
الشريفة، وكانت قد قاربت الرابعة والسبعين، ودفنت -رضي الله
عنها- بالبقيع إلى جوار أمهات المؤمنين.

هذه السلسلة

تُمثّل سيرة مختصرة ، وسهلة ، ومبسطة لنساء النبي ﷺ فهنّ الصفوة من النساء ، لأنهن عَشُن في كنف الرسول الكريم ﷺ وتربين على الوحي الإلهي ، المُنزّل على قلب النبي ﷺ ، وذلك لتتعرف البنات على أمهاتهن أمهات المؤمنين ، ولتتخذن منهن قدوة حسنة ، في كل ما تميزت به كل واحدة منهن ، وكلهن آثرن الله والدار الآخرة على زينة الحياة الدنيا ، فرضين برضاه من الكفاف .

وقد شملت السلسلة :

- ١- خديجة بنت خويلد .
- ٢- سودة بنت زمعة .
- ٣- عائشة بنت أبي بكر .
- ٤- حفصة بنت عمر .
- ٥- زينب بنت خزيمة .
- ٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية .
- ٧- زينب بنت جحش .
- ٨- جُوَيْرِيَة بنت الحارث .
- ٩- صفية بنت حيى .
- ١٠- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان .
- ١١- ميمونة بنت الحارث .
- ١٢- مارية بنت شمعون .

والله نسالُ أن ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية ،
وهو الهادى ، والموفق إلى صراطه المستقيم ،،،

الناشر

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

email: info@eldaawa.com www.eldaawa.com

